

# مفهوم الليبرالية عرض و مناقشة

✍ إعداد الدكتور

منصور بن عبد العزيز بن ظافر الحجيلي

الأستاذ المشارك في العقيدة والمذاهب الفكرية المعاصرة

كلية الآداب والعلوم الإنسانية - قسم الدراسات الإسلامية

جامعة طيبة - المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية

[mansouralhejeili@gmail.com](mailto:mansouralhejeili@gmail.com)

## مفهوم الليبرالية عرض ومناقشة

منصور بن عبد العزيز بن ظافر الحجيلي

قسم العقيدة والمذاهب الفكرية المعاصرة – الدراسات الإسلامية - كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة طيبة – المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية

البريد الإلكتروني : [mansouralhejeili@gmail.com](mailto:mansouralhejeili@gmail.com)

### المخلص :

قبل أن نتحدث عن الليبرالية كمصطلح، فعلينا أن نؤكد على أن الأفكار بشكل عام ضاربة الجذور في أعماق التاريخ، ولكنها تضل كامنة في العقول والقلوب حتى تجد حدثًا يوقد وهيجها و مفكرا يؤصل قواعدها. لذلك عندما نتحدث عن الليبرالية، فنحن نتحدث عن مفهوم فكري يضرب في أعماق التاريخ، كخيار فكري شخصي تؤثر فيه الأحوال السياسية والاقتصادية والرؤى الشخصية، "بدأ في عصر النهضة ثم تطور في عصر التنوير" إلا أنه " كمصطلح لم تتداوله السنة الناس وتستعمله الاستعمال المنهجي قبل الثلاثينات من القرن التاسع عشر الميلادي و كان يعني الحريات المدينة والحكومات البرلمانية "

ومصطلح الليبرالية مصطلح يشوبه الغموض شأنه شأن بعض المصطلحات الأخرى كالرومانسية، بل أنه مازال على حاله من الغموض والإبهام حتى يومنا هذا ومعانيه وتأكيداته تتبدل بصورة ملحوظة بمرور السنين بل إنه يندر أن توجد حركة ليبرالية لم يصبها الغموض

وإذا كان المعنى يشوبه الغموض لدى أربابه ومنبع ظهوره فمن باب أولى أن يكون لدى غيرهم، فقد اعتبرته الموسوعة العربية " مصطلحا غامضا، لأن معناه وتأكيداته تتبدل بصورة ملحوظة بمرور السنين .

وإن غموض هذا المصطلح يعود لطبيعة مفهومه ومكوناته، فهو غامض في مفهوم الحرية، وغامض في مفهوم الفردية، التي تشكل اس المذهب و جوهره

الكلمات المفتاحية : الليبرالي – الليبرالية – الفردية – الرومانسية.

**Email:** mansouralhejeili@gmail.com

### **Abstract**

To speak of liberalism as a term is to emphasize that ideas are generally rooted in history, but lie in minds and hearts to find an event that fuels their flames and an intellectual that lays down their bases. Thus, when we speak of liberalism, we speak of an intellectual concept that is rooted in history, an intellectual choice influenced by political and economic conditions and personal visions, "beginning in the Renaissance and then evolving in the enlightenment." "However," as a term which was not used systematically by the year before the # s and which meant city liberties and parliamentary governments, "the term liberalism is ambiguous like some other terms such as romance, but remains vague to this day, its meanings and assurances have changed significantly over the years Others, the Arabic encyclopedia called it "an ambiguous term, because its meaning and its assertions change markedly over the years." The ambiguity of the term stems from the very nature of its concept and its components; it is obscure in the concept of freedom, and obscure in the notion of individualism, which constitutes the essence and the essence of the doctrine.

**Keywords:** liberal - liberal - individual - romance.



" وحطمت أسوار الكنيسة، وأنهت حكم الإقطاع، وأصبح هذا المذهب هو الذي تتبناه كبرى الدول الصناعية.

فأصبح الفكر الليبرالي فكرا استعماريًا يريد الهيمنة على العالم، فانتشر بكافة أصقاع الأرض، وتبناه الغالبية، حتى دخل البلاد الإسلامية، فتلقفه دعاة التغريب وطاروا به مهللين، وليتم تسويقه على المسلمين تم تأصيله داخل التراث الإسلامي، وتغيير خطابه ليكون خطابًا ليبراليًا متلبسًا باللباس الإسلامي، فيسهل قبوله لدى العامة، رغم بقاء مضامين أفكاره كما هي دون تغيير.

وقد استخرت الله وعزمت على كتابة ورقات مختصرة في هذا الموضوع، أرجو أن أكون مخلصًا فيها وأن يكتب الله لها القبول.

وقد قسمت هذا البحث إلى عدد من النقاط:

مقدمة:

تمهيد.

تعريف الليبرالية.

نشأة الليبرالية.

أطوار الليبرالية

الأسس الفكرية لليبرالية

أبرز الشخصيات الليبرالية

## تمهيد :

قبل أن نتحدث عن الليبرالية كمصطلح، فعلينا أن نؤكد على أن الأفكار بشكل عام ضاربة الجذور في أعماق التاريخ، ولكنها تضل كامنة في العقول والقلوب حتى تجد حدثاً يوقد وهيجها و مفكراً يؤصل قواعدها.

لذلك عندما نتحدث عن الليبرالية، فنحن نتحدث عن مفهوم فكري يضرب في أعماق التاريخ، كخيار فكري شخصي تؤثر فيه الأحوال السياسية والاقتصادية والرؤى الشخصية، "بدأ في عصر النهضة ثم تطور في عصر التنوير (1) " (2) إلا أنه " كمصطلح لم تتداوله السنة الناس وتستعمله الاستعمال المنهجي قبل الثلاثينات من القرن التاسع عشر الميلادي و كان يعني الحريات المدنية والحكومات البرلمانية " (3)

ومصطلح الليبرالية مصطلح يشوبه الغموض شأنه شأن بعض المصطلحات الأخرى كالرومانسية (4) ، بل أنه مازال على حاله من الغموض

١ : بدأ عصر النهضة في القرن الرابع عشر الميلادي في فلورنسا ، و هو العصر الذي تخلله عصر الإصلاح الديني في القرن السادس عشر، وأفضى إلى عصر أكثر تقدماً هو عصر التنوير (الأنوار) والذي امتد على مساحة قرنين من الزمان (السابع عشر والثامن عشر) انظر " مقال الكاتب العراقي " سعد محمد رحيم " : حول مفهومي النهضة وعصر التنوير . ٢٠١٥/١١/٢٣

٢ : حقيقة الليبرالية وموقف الإسلام منها : ٨٧

٣ : تاريخ الفكر الأوربي الحديث - سترومبرج ٣٣٧ (بتصرف)

٤ : الرومانسية من المذاهب الأدبية الشهيرة في أوروبا خاصة في في فرنسا، والذي كان ظهوره بعد ظهور المدرسة الكلاسيكية، وقد عُرف أيضاً بالمذهب الابتداعي بسبب كونه ابتداعاً عن المذهب الكلاسيكي وتقويضاً لمبادئه ، وأسسه، كما عُرف أيضاً بالمذهب التعبيري لما فيه من تعبير عن العواطف والأحاسيس الذاتية. [١] وبرزت معالم هذا الاتجاه في الشعر والنثر. اقرأ المزيد على موقع كوم:

https://mawdoo3.com/ما\_هي\_الرومانسية..

والإبهام حتى يومنا هذا <sup>(١)</sup> ومعانيه وتأكيدهات تتبدل بصورة ملحوظة بمرور السنين <sup>(٢)</sup> بل إنه يندر أن توجد حركة ليبرالية لم يصبها الغموض <sup>(٣)</sup>

وإذا كان المعنى يشوبه الغموض لدى أربابه ومنبع ظهوره فمن باب أولى أن يكون لدى غيرهم، فقد اعتبرته الموسوعة العربية " مصطلحا غامضا، لأن معناه وتأكيدهات تتبدل بصورة ملحوظة بمرور السنين <sup>(٤)</sup> .

وإن غموض هذا المصطلح يعود لطبيعة مفهومه ومكوناته، فهو غامض في مفهوم الحرية، وغامض في مفهوم الفردية، التي تشكل اس المذهب و جوهره <sup>(٥)</sup>

### تعريف الليبرالية :

ابتداء فإن أصل مصطلح " الليبرالية " هو ترجمة عربية لكلمة " Liberalism " التي تعني " التحرر، وهي مشتقة من الكلمة الإنجليزية " Liberty " التي تعني " الحرية " <sup>(٦)</sup>

### تعريف الليبرالية عند المفكرين الغرب :

سبق وأن ذكرنا بأن المفهوم الليبرالي قديم فكره متبناه، وليس كمصطلح، لذا فقد عرفها الفيلسوف الفرنسي " جان جاك روسو <sup>(١)</sup> " في كتابه

١ : تاريخ الفكر الأوربي الحديث - ستروميرج ٣٣٧ (بتصرف)

٢ : The World Book Encyclopedia نقلا عن " حقيقة الليبرالية وموقف الإسلام منها " ١١٣

٣ : Encyclopedia Britannica نقلا عن : حقيقة الليبرالية وموقف الإسلام منها : ١١٤

٤ : الموسوعة العربية العالمية ٢١/٢٤٧ .

٥ : موقف الليبرالية في البلاد الإسلامية من محكمات الدين: ٤٨

٦ : المعجم الفلسفي - جميل صليبا - " ١/٦٥

العقد الاجتماعي بقوله " الحق الاجتماعي حق مقدس يصلح قاعدة لجميع الحقوق الأخرى، ومع ذلك فإن هذا الحق لا يصدر عن الطبيعة مطلقا، وهو إذا قائم على عهود، والموضوع أن تعرف هذه العهود " ويقول أيضا " بأن الإنسان يولد حرا، ويوجد مقيدا " (٢) في إشارة إلى أن الإنسان يولد حرا، ولكن القيود المجتمعية هي التي تقيد حريته، وأن " الحرية الحقة في أن تطيع القوانين التي اشترعناها لأنفسنا (٣)

وعرفها المفكر الفرنسي " لاشلييه : (٤) بأنها " الانفلات المطلق " (٥)

وعرفها الفيلسوف الإنجليزي " توماس هوبز (٦) " بأنها غياب العوائق الخارجية التي تحد من قدرة الانسان على أن يفعل مايشاء. (٧)

أما المفكر اليهودي " هاليفي (٨) " فقد قال : إنها الاستقلال عن العطل الخارجية (٩) ويقصد بذلك أن للمرء أن يعتقد مايشاء من أمور الغيب، ويتخذ من

١ : فيلسوف وكاتب فرنسي ١٧١٢ - ١٧٧٨ ، اعتبره بعض النقاد الوجه الأبعد نفوذا في الأدب الفرنسي الحدث والفلسفة الفرنسية ، من أشهر كتبه " العقد الاجتماعي ، = كان لكتابات تأثير مباشر على القوى السياسية التي الهبت نيران الثورة الفرنسية عاك ١٧٨٩ . انظر : معجم أعلام الموارد : ٢١١ . وانظر : الف شخصية عظيمة : ٢٢٨ - ٢٢٩

٢ : العقد الاجتماعي : ٢٩

٣ : معركة الثوابت بين الإسلام الليبرالية - عبد العزيز كامل : ٣٣

٤ : جون لاشيلية ، فيلسوف فرنسي انجليزي ، ١٨٣٢ - ١٩١٩ معجم الفلاسفة " جورج طرايشي : ٥٦٧ .

٥ : موسوعة لالاند الفلسفية ٧٣٢/٢ . نقلا عن موقف الليبرالية في البلاد الإسلامية من محركات الدين : ٥٢

٦ : فيلسوف انجليزي ١٥٨٨ - ١٦٧٦ . ايد الحكم الملكي المطلق . معجم الفلاسفة " جورج طرايشي : ٧٠٨ - ٧١٠

٧ : معركة الثوابت بين الإسلام الليبرالية - عبد العزيز كامل : ٣٣

٨ : إيلي هاليفي ، مفكر يهودي فرنسي



الآلهة ما يشاء، ويعبدها كما يشاء، ومسؤولية البحث عن الحقيقة هي مسألة شخصية مدخلها العقل فحسب، وعلى المجتمع أن يحترم الحرية في ذلك ويتيحها لكل إنسان (٢).

وفي الموسوعة الأمريكية الأكاديمية هي : فلسفة سياسية تركز على الحرية الفردية (٣)

وفي موسوعة " لالاند " : الحرية انعدام الموانع والعوائق (٤) وأنه من المستحسن أن يزداد الى أبعد حد ممكن استقلالية السلطة التشريعية، والسلطة القضائية بالنسبة إلى السلطة الإجرائية التنفيذية، وأن يعطى للمواطنين أكبر قدر من الضمانات في مواجهة تعسف الأحكام (٥).

فهذا مفهومها عند الغرب، حيث نجد أن الليبرالية عندهم تتمحور حول " الانفلات من القيود والضوابط والحرية الفردية.

### تعريف الليبرالية عن المفكرين العرب :

يقول عنها " منير البعلبكي " بأنها فلسفة ظهرت في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي، ثم اتخذت أشكالاً مختلفة في أزمنة وأماكن مختلفة، إلا أنها اتسمت بسمة التقدم.

١ : موسوعة لالاند الفلسفية ٧٣٢/٢ . نقلا عن موقف الليبرالية في البلاد الإسلامية من محركات الدين: ٥٢

٢ : معركة الثوابت بين الإسلام والليبرالية - عبد العزيز مصطفى كامل : ٩٩

٣ : Academic American Encyclopedia . نقلا عن : حقيقة الليبرالية وموقف الإسلام منها : ١٠٢

٤ : موسوعة لالاند الفلسفية ٧٢٩/٢

٥ : موسوعة لالاند الفلسفية ٧٩٨/٢

ويقول أيضا " إن الليبرالية تعارض المؤسسات السياسية والدينية التي تحد من الحرية الفردية، وتنادي بأن الإنسان كائن خيّر وعقلاني، وتطالب بحقه في حرية التعبير وتكافؤ الفرص والثقافة الواسعة.

ويقول أيضا : إنها اطلقت على حركة في البروتستانت المعاصرة تؤكد على الحرية العقلية وعلى مضمون النصرانية الروحي والأخلاقي، وكان من آثار هذه الحركة انتهاج الطريقة التاريخية في تفسير الأنجيل<sup>(١)</sup>

ويعرفها جميل صليبا : بانها مذهب سياسي فلسفي يقرر أن وحدة الدين ليست ضرورية للتنظيم الاجتماعي الصالح، وأن القانون يجب أن يكفل حرية الرأي والاعتقاد<sup>(٢)</sup>

وعرفها " مراد وهبه " في المعجم الفلسفي ؛ بأنها نظرة سياسية ترقى إلى مستوى الأيدولوجيا، إذا تزعم أن الحرية أساس التقدم، فتعارض السلطة المطلقة سواء أكانت دينية أو دنيوية<sup>(٣)</sup>

وكذلك تعرفها الموسوعة الميسرة بأنها مذهب رأس مالي ينادي بالحرية المطلقة في الميدانين الاقتصادي والسياسي<sup>(٤)</sup>

ويعرفها الدكتور سيار الجمال : بأنها مذهب فكري سياسي ينادي بالحرية المطلقة في الميدان الاقتصادي والسياسي والاجتماعي<sup>(٥)</sup>

١ : موسوعة الموارد العربية - منير البلعكي : ٦ / ١١٤ (بتصرف) وانظر : موقف الليبرالية

في البلاد الإسلامية من محكمات الدين : ٥٣ - ٥٤

٢ : المعجم الفلسفي ١ / ٤٦٥

٣ : المعجم الفلسفي - مراد وهبة : ٥٧٩

٤ : الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة : ١١٤٥/٢

٥ : الليبرالية القديمة والليبرالية الجديدة - المعاني والمبادئ والمفاهيم - مقال - في مجلة

الحوار المتمدة العدد ١١١٩ - ٢٤/٢/٢٠٠٥ (نقلا عن : موقف الليبرالية في البلاد

الإسلامية من محكمات الدين : ٥٤)

وفي المصطلحات السياسية للدكتور توفيق الواعي، يقول : هي أيولوجية جامعة تتفاعل في بوتقتها الفلسفات الأربع ؛ الوضعية، الوضعية المنطقية، البراغماتية، الوجودية<sup>(١)</sup> .

ونكتفي بهذه التعريفات، التي لا تختلف غيرها عنها، فجميعها وإن اختلفت صاغتها فهي تصب في نفس المعنى، وأن " الليبرالية " ليست مجرد طريقة تفكير ، بل هي أعمق من ذلك، فهي تتناول كافة مناحي الحياة، حتى تصل لمناهج البحث والتفكير العلمي.

فهي مذهب مادي يقوم على إعلاء قيمة الإنسان، والخروج به عن الطبيعة الإنسانية والفطرة السليمة، ليتعالى على القيم و المباديء، فلا يكون تابعا إلا لنفسه، ولا يقبل الحق إلا من خلال ما يراه هو حقا، فلا يؤمن إلا بما يحقق له الشعور بالحرية ويكون نابعا من تفكيره دون أن يكون مقيدا بدين أو قيد مجتمعي يحد من حريته.

١ : المصطلحات السياسية : ٥

## نشأة الليبرالية :

إن الليبرالية كأى مذهب فكري نشأ في الغرب، كانت له محفزات دينية وسياسية، أدت إلى نشأته. وقد " ولد المذهب الليبرالي في الظروف التاريخية التي عرفت صراعا بين مؤسسات وقسم الحرية الموروثة من العصور القديمة والعصر الوسيط، وبين المغريات الاستبدادية والدولتية التي سادت القرنين السادس عشر والسابع عشرة " (١).

ولقد كانت التغييرات الاجتماعية التي عصفت بأوروبا منذ بداية عصر النهضة، كان لها دور كبير في نشأة الفكر الليبرالي " وليس المصطلح الليبرالي " ولا يخفى أن طبيعة التغييرات الاجتماعية والفكرية أيا كانت، لا تأتي مباشرة وبسرعة، بل تأتي بشكل متدرج وبطيء، حتى يتم التشكل المجتمعي لتلك الفكرة ، كما أن الأفكار عادة لا ترتبط بشخص واحد، بل تتبلور هذه الفكرة من مفكر لآخر حتى تأخذ شكلها الأساسي وطابعها المميز.

وإن مما أدى إلى ظهور الفكر الليبرالي في الغرب يعود إلى ثلاثة أمور:

**أولا :** الطغيان الكنسي بكافة أشكاله وصوره.

إن طغيان الكنيسة وفساد رجالها، وانحراف الكهنة والقساوسة عن المهام الدينية، وإحساسهم بأنهم فوق البشر، وأنهم هم الوحيدون الذين لديهم الحق في التفسير، وبيان الحق، وتحديد المقصود من خطاب الرب، وأن "الرب" قد منح سلطانه للكنيسة.

فطغت الكنيسة وتجبرت، والزمتم الشعب بما لم يأمر به الله، وشاركتم ارزاقهم، ففرضت عليهم العشور، وسخرتهم لخدمتها، وشددت الخناق على الناس وأنشأوا " محاكم التفتيش " (٢) وحاربوا العلم وتصيدوا المخالفين بتهمة " الهرطقة " (٣) حتى أوقعت الرعب والخوف في قلوب الناس (١).

١ : مجلة قضايا معاصرة - العدد الأول - ربيع ٢٠١٦ . تصدر عن المركز العلمي للأبحاث

والدراسات الإنسانية - الرباط - المغرب - مقال " رالف رايكو " ترجمة " رشيد اوراز

٢ : تاريخ أوروبا في العصور الوسطى : ٢٠٠

٣ : انظر في بيان ذلك معالم تاريخ الإنسانية // ٣ - ٨٠٨ - ٩٠٨ .

بل إن طغيان الكنيسة زاد عن حده حتى سيطرت على المناصب العليا في البلاد، فلا يمكن لأحد أن يعتلي منصبا إلى بمباركة الكنيسة، بل وصل الأمر إلى أن أصبح الملوك والأباطرة لا يتوجون عن طريقهم وبمباركتهم<sup>(٢)</sup> ، فأصبح " البابا" يتصرف في المجتمعات النصرانية بصفته ممثلا عن " للرب " على الأرض بعد صعود الرب إلى السماء.

فلا يجوز لأحد أن ينتقد عليه فعلا أو يخالف له رأيا مهما بلغ حجم الخطأ أو مكانة المنتقد من العلم والتفكير ، فوقفت الكنيسة ضد التقدم والمكتشفات العلمية، ومنعت العلماء من مزاوله نشاطهم العلمي بجميع مستوياته، فأحالت القس " كوبر نيكوس" إلى محكمة التفتيش بسبب كتابه " حركات الأجرام السماوية، الذي أثبت فيه خطأ نظرية " بطليموس " الذي يجعل الأرض هي مركز المجموعة الشمسية، وأثبت أن الصواب هو أن الشمس هي مركز المجموعة الشمسية، فصدرت الكتاب ومنعت تداوله.

وحكمت على عالم الفلك " جيور دانو برونو<sup>(٣)</sup> " بالإحراق حيا، لأنه أثبت صحة نظرية " كوبر نيكوس<sup>(٤)</sup> " بأن الشمس هي مركز المجموعة الشمسية، فثبت عند رأيه وتقدم للموت بكل شجاعة.

١ : انظر في صور التعذيب . قصة الحضارة ٢٣ / ٨٠ - ٩٠ . نقلا عن : حقيقة الليبرالية وموقف الإسلام منها : ٣٢

٢ : انظر في هذا : كواشف وزيوف - الميداني " ٥١

٣ : برونو جيوردانو (١٥٤٨ - ١٦٠٠) فيلسوف وعالم رياضيات وفلك إيطالي ، بدأ حياته راهبا دومنيكيا في نابولي ثم درس في باريس وأكسفورد . تبدى نظرية كوبرنيكوس الجديدة في الفلك ، ووضع كتابا في السحر وفي التكوين الذري للمادة . اتهم بالزندقة وأعدم في رومة أحرقا بالنار . معجم إعلام الموارد : ١٠٣ .

٤ : كوبر نيكوس ، نيقولاوس ، عالم فلكي بولندي يعتبر من أحد علماء الفلك القلائل الذين تركوا أعظم الأثر في الحركتين العلمية والفلسفية طوال قرون متعددة . قال بأن الأرض وسائر الكواكب تدور حول الشمس وحول نفسها ، وبذلك قلب معطيات علم الفلك القديم التي كانت تقول بأن الأرض هي مركز الكون الثابت . وتعرف نظريته

ثم اعقبه في الرأي العالم الإيطالي " جاليليو (١) " ولمنه بعد أن شاهد ما حل بالعالم " برونو" رجع عن قوله خوفا وأقر بصحة نظرية " بطليموس (٢)"(٣)

### ثانيا : النظام الإقطاعي :

"يعتبر النظام الإقطاعي الذي سيطر على أوروبا في العصور الوسطى من أقسى الأنظمة وأكثرها عنصرية وطبقية في التاريخ الإنساني، فقد قسم المجتمع إلى طبقتين " السادة – النبلاء و الملوك – و رجال الدين، ثم الطبقة الدنيا وهي طبقة الفلاحين وهم عامة الشعب" (٤) حيث سبب هذا النظام ردة فعل عنيفة من طبقة الفلاحين تجاه استبداد الإقطاعيين، الذين سلبوا الناس حقوقهم واستعبدهم، فظهرت فكرة " أن سيادة الدولة تقوم مقام فكرة السيادة الإقطاعية،

هذه ب " نظام كوبر نيكوس " وقد شجبتها الكنيسة الكاثوليكية بوصفها مخالفة لنصوص الكتاب المقدس . انظر : معجم أعلام الموارد : ٣٧١

١ : جاليليو جاليلي ١٥٦٤ - ١٦٤٢ ، عالم إيطالي ، من أهم شخصيات القرن السابع عشر ، نشر نظرية " كوبر نيكوس " وواجه المصاعب بعدها مع الكنيسة فراجع عن قوله خوفا من الموت . انظر : مجلة حكمة : ٢٠١٧ . موسوعة ستانفورد للفلسفة - ترجمة محمد صديق أمون . جاليليو جاليلي

٢ : بطليموس (الاسكندري) رياضي وجغرافي وعالم فلك يوناني ، من أهل القرن الثاني للميلاد ، نشأ وعاش في الإسكندرية ، ينسب إليه النظام البطليموسي في الفلك ، وهو يقول : إن الأرض كرة ثابتة في وسط الكون ، وإن الشمس والقمر والكواكب السيارة تدور حولها في مدارات دائرية . من أشهر مؤلفاته " المجسطي " وهو موسوعة فلكية ورياضية في ثلاثة عشر كتابا . انظر : معجم أعلام الموارد : ١٠٧

٣ : انظر مذاهب فكرية معاصرة - عرض ونقد - : ٥٤ - ٨٥ (باختصار) وانظر : تاريخ أوروبا في العصور الوسطى : ٢٠٠ وما بعدها . قصة النزاع بين الدين والفلسفة . توفيق الطويل / ٢٠٥ . تكوين العقل الحديث ٣/٤٨٣ .

٤ : حقيقة الليبرالية وموقف الإسلام منها : ٦٠

وأن الملك ليس زعيم طبقة الإقطاعيين بل هو الأمير، وليس له تابعون فحسب بل رعية، الأمر الذي تسبب في نشأة حرب المائة عام، وحروب إيطاليا التي رفعت اسم الملك وأظهرت إسم الأمة وفكرة الحدود، والحدود الطبيعية والعاطفة القومية، وإقامة اللغة المحلية محل اللغة اللاتينية (١).

### ثالثا : الرأس مالية :

بدأت الطبقة البرجوازية تتشكل في بدايات القرن الخامس عشر الميلادي وأصبحت تنافس طبقة النبلاء، وأصبحت في صراع دائم مع النظام الإقطاعي وفق مصالحها الخاصة التي تتراوح بين مساندة الأباطرة والملوك ضد النبلاء ورجال الدين، ثم الوقوف مع الثورات ضد النظام الملكي ، حتى تحطم النظام الإقطاعي وأتى نظام جديد يقوم على الحرية الفردية (٢) مما يمكن معه القول بأن " الليبرالية هي نتاج الطبقة الوسطى الصاعدة، التي كان التقدم التجاري والصناعي يتحقق على يديها (٣) باعتبارها تقوم على أساس الفردية (٤) وأصبح المفهوم الرأسمالي حاضرا في المشهد، ليكرس مفهوم الفردية والحرية التي هي جوهر الليبرالية .

وبما إن الليبرالية تهتم بالفردية والحرية، فإن الرأس مالية قد شجعت هذا التوجه، ودافعت عنه دفاعا عنيفا، ليكون دعوة للانطلاق من القيود والتحرر (٥) التي هي جوهر الفكر الليبرالي (١).

١ : تاريخ عصر النهضة الأوربية - د نور الدين حاطوم : ١٣٠ . وانظر : تاريخ أوروبا السياسي

والثقافي بخطوطه العرية - ولي شيرين " ٦٧ - ٧١ (مبحث الثورات)

٢ : انظر كتاب " الصراع بين البرجوازية والإقطاع . وانظر : حقيقة الليبرالية وموقف

الإسلام منها : ٦٥

٣ : حكمة الغرب ١٠٤/٢

٤ : حقيقة الليبرالية وموقف الإسلام منها : ٦٥

٥ : جاهلية القرن العشرين - محمد قطب - : ١٣١ - ١٣٦ . (نقلا عن موقف الليبرالية

في البلاد الإسلامية من محكمات الدين : ٦٠

فهذه الأمور الثلاثة تعتبر الأسباب الرئيسة والمشاركة لنشأة معظم المذاهب الفكرية المعاصرة في أوروبا.

فالطغيان الكنسي الذي تمثل في الطغيان الديني والعلمي والمالي والسياسي، هو الذي أدى إلى الثورة ضد الكنيسة، الذي تمثل في الحركة الإصلاحية التي ظهرت في الربع الأول من القرن السادس عشر الميلادي على يد الراهب الألماني "مارتن لوثر" (٢) الذي وظفت الليبرالية ثورته (٣) ليصبح تفسير الكتاب المقدس مشاعا لكل أحد، وبالتالي تطور الأمر ليصبح النقد لرجال الكنيسة ومن ثم للكنيسة نفسها حتى وصل الأمر لنقد الدين نفسه (٤).

كما أن النظام الاقطاعي الذي خرج عن مساره التنظيمي ليتحول إلى علاقة بين السادة والعبادة، ويتطور إلى تسلط على العبيد - الشعب -، ومشاركة لهم في أرزاقهم بل حتى في أعراضهم (٥)، وتكريس مفهوم الطبقة بين الناس، الأمر الذي أدى إلى الانفجار بسبب التجاوزات من الاقطاعيين، وعدم القدرة على الحماية التي كانت مقابل الخدمة (٦).

والطبقة البرجوازية التي شكلت المفهوم الرأسمالي، الذي يشجع الفردية والحرية.

- ١ : حقيقة الليبرالية وموقف الإسلام منها : ٥٨
- ٢ : راهب الماني خرج على الكنيسة الكاثوليكية
- ٣ : تكوين العقل الحديث - جون رانال : ٢ / ٢١٥ . وانظر : موقف الليبرالية في البلاد الإسلامية من محكمات الدين : ١٠٠
- ٤ : انظر لطبيعة العلاقة بين نشأة التحريرية الأوربية : ١٨ - ٢٧ .
- ٥ : قصة الحضارة - الجزء ١٤ - فصل الاقطاع .
- ٦ : انظر في بيان استبداد السادة والنبلاء . : حقيقة الليبرالية وموقف الإسلام منها : ٣٥ - ٤١ .



## أطوار الليبرالية :

لا شك في أن الليبرالية انماطاً مختلفة، حيث إنها تختلف بحسب المفكر والزمان، وتتغير وتتطور بحسب الأزمنة والأمكنة وبحسب الأمزجة والأمر الشخصية للمفكر.

لهذا توجد أطوار متعددة لليبرالية، فهناك ليبرالية فكرية، وليبرالية اجتماعية، وليبرالية براجماتية، إلا أننا سنقتصر الحديث على طورين فقط من أطوار الليبرالية، باعتبارهما أشهر الأطوار، فبها بدأت واليها انتهت واليها تعود بقية الأطوار .

**أولاً " الليبرالية الكلاسيكية " أو التقليدية، وهي الأقدم نشأة والتي** ظهرت في القرن الثامن عشر الميلادي، والمعتمدة على " الحرية الفردية " ومنع تدخل الدولة وغيرها في الاقتصاد أو غيره، وأن ترك الفرد يحقق مصلحته الذاتية الخاصة كفيل بتحقيق المصلحة العامة للمجتمع بشكل طبيعي دون تدخل بشري، فهي تدافع عن الملكية الخاصة واقتصاد السوق غير المقيد، ودولة القانون، ووجود الضمانات الدستورية للحرية الدينية وحرية الصحافة، وعلاقات دولية يطبعها السلام، من خلال ترسيخ التبادل الحر (١).

ويعتبر الفيلسوف " جون لوك (٢) " من أبرز فلاسفة هذا الطور، إذا تنطلق نظريته من فكرة العقد الاجتماعي في تصوره لوجود الدولة، وأن السلطة أو الحكومة مقيدة بقبول الأفراد لها، ولذلك يمكن سحب السلطة منها بسحب الثقة فيها (٣)

فهي ليبرالية تركز على مفهوم التحرر من تدخل الدولة في تصرفات الأفراد سواء كان هذا في السلوك الشخصي للفرد أم في حقوقه الطبيعية أم في نشاطه الاقتصادي، وتجعل من عمل الدولة حماية الحريات وترك الطريقة

١ : مجلة قضايا معاصرة - العدد الأول - ربيع ٢٠١٦ . تصدر عن المركز العلمي للأبحاث

والدراسات الإنسانية - الرباط - المغرب - مقال " رالف رايكو " ترجمة " رشيد اوراز

٢ : فيلسوف إنجليزي ١٦٣٢ - ١٧٠٤ ، اشتهر بدعوته إلى التسامح الديني وبدفاعه عن

حقوق الإنسان الطبيعية ، عارض نظرية الحق الإلهي وقال إن الاختبار والتجريب أسا

المعرفة . انظر " معجم اعلام الموارد : ٣٩٢

٣ : مدخل إلى علم السياسة : ٣٠ . العلبانية : ٢١٤ .

الخاصة للفرد ليحقق حريته دون وصاية (١) وإنهاء الاحتكارات الحكومية، وفصل الكنيسة عن الدولة، وتوسيع ممثلية الشعب و وضع حدود للسلط بما فيها سلطة البرلمان (٢).

وهذه الليبرالية على الرغم من أنها تنطلق من فكرة العقد الاجتماعي وتنظيم الدولة وتحديد عملها في حماية حرية الافراد دون تدخل، فهي من طرف آخر تهدم نظرية الحق الإلهي التي تنزعها الكنيسة وتحجم سلطة الكنيسة وتمنع تسلطها على الشعب.

### ثانيا : الليبرالية الجديدة " المعاصرة "

وهي الليبرالية التي نشأت في بدايات القرن العشرين، حيث كانت الليبرالية الكلاسيكية تقوم على الحرية الفردية، فتطورت الليبرالية المعاصرة لتقوم على حرية انتهاز الفرص أكثر من حرية التحرر من القيود، وانتهت الى أن دور الحكومة ضروري على الأقل من أجل توفير الشروط التي يمكن فيها للأفراد أن يحققوا قدراتهم بوصفهم بشرا (٣).

ويعد هذا الاتجاه من أشهر اتجاهات الليبرالية في مقابل الليبرالية الكلاسيكية، بل إنه صورة من صور تنازل الليبرالية الكلاسيكية عن تطبيق منهجها الداعي إلى عدم التدخل في حرية الفرد، ودعت إلى ضرورة تدخل الدولة والقيام بالدور الإيجابي، لتضمن عدم ترك المجتمع لوحشية للرأسماليين (٤) وهو الطور الذي تبنته الدول الصناعية الكبرى، والمنظمات الدولية كصندوق النقد الدولي والبنك الدولي ومنظمة التجارة العالمية (٥).

١ : موقف الليبرالية من الإسلام : ٨٨ . (بتصرف)

٢ : مجلة قضايا معاصرة - العدد الأول - ربيع ٢٠١٦ . تصدر عن المركز العلمي للأبحاث والدراسات الإنسانية - الرباط - المغرب - مقال " رالف رايكو " ترجمة " رشيد اوراز

٣ : موقف الليبرالية في البلاد الإسلامية من محكمات الدين : ٨٩

٤ : حقيقة الليبرالية وموقف الإسلام منها : ١٧٤

٥ : حقيقة الليبرالية وموقف الإسلام منها : ١٧٨

## الأسس الفكرية لليبرالية :

على الرغم من غموض مصطلح الليبرالية كما جاء على لسان مفكريها، مما جعل هذا المصطلح من أكثر المصطلحات إثارة للإشكالات و أشدها تعقيدا على التعريف، بحيث يمكن وصفه بأنه مصطلح " زئبقي " ينفلت من التحديد والتعريف، ويخاتل للإغراق في الإلتباس (١)

إلا أن الليبرالية تقوم على أسس فكرية مشتركة، تمثل القدر المشترك بين كافة تياراتها واتجاهاتها، بحيث لا يمكن اعتبار أي فرد ليبراليا ما لم يقر بهذه الأسس ويعترف بها (٢).

وفيما يلي أسس الليبرالية :

### الأساس الأول : الحرية.

وهذا الأساس هو أس الليبرالية، وعليه يقوم بناؤها، (٣) وينقسم هذا الأساس إلى قسمين :

أ - حرية إرادية، تعني أن الفرد مختار في تصرفاته وأفعاله، ويملك حرية مطلقة لإرادته واختياراته، فلا يوجد قوة خارجية تتدخل في إرادة الفرد وفعله.

يقول المفكر الفرنسي " بوسته " : " إنني بحثت في ذاتي عن السبب الذي يدفعني إلى العمل، فإنني أشعر بأنه ليس هناك من علة لأفعالي سوى حريتي، ومن ثم فإنني أشعر بوضوح بأن حريتي إنما تنحصر في مثل هذا الاختيار " فالإرادة الحرة هنا هي عبارة عن القدرة المطلقة على الابتداء أو المبادأة، لأننا بصدد

١ : انظر : الليبرالية إشكالية مفهوم زد ياسر قنصوه : ٦ . نقد الليبرالية . د الطيب بو عزة :

١٧ . موقف الليبرالية في البلاد الإسلامية من محكمات الدين : ٤٥ - ٤٨ .

٢ : انظر " حقيقة الليبرالية وموقف الإسلام منها : ١٢١ .

٣ : موقف الليبرالية في البلاد الإسلامية من محكمات الدين : ٤٨

حرية تعمل بطريقة تعسفية محضة، غير مشروطة في فعلها بأي شيء كأننا ما كان <sup>(١)</sup> وهذا النوع من الحرية يظهر فيه بجلاء مفهوم الارتباط بقضية القضاء والقدر و علاقة أفعال الله تعالى بأفعال العبد <sup>(٢)</sup>.

ب - حرية مدنية، وتعني أن الفرد حر في أفعاله، ومستقل في تصرفاته، دون أي تدخل من الدولة أو غيرها، فوظيفة الدولة حماية هذه الحرية وتوسيعها، وتعزيز الحقوق واستقلال السلطات، وأن يعطى الأفراد أكبر قدر من الضمانات في مواجهة التعسف والظلم الاجتماعي <sup>(٣)</sup> وهذا النوع من أنواع الحرية يتعلق بطبيعة العلاقة بين الفرد والدولة، وبين الأفراد بعضهم البعض، فهو يصطبغ بالطابع العملي الواقعي.

وبما أن أصل مصطلح " الليبرالية " يكتنفه الغموض، وهو ترجمة لكلمة " Liberty " التي تعني "الحرية " فإن نفس الكلمة " الحرية " يكتنفها الغموض أيضا ، لأن هذه الكلمة ومع سهولة تداولها بين الناس إلا أنه لا يمكن تحديد ضابط لها، لأن مستخدميها كل يفسرها بحسب بطريقته ليصل إلى فكرته، ولهذا تقول الموسوعة البريطانية " فالليبرالي قد يؤمن بأن الحرية مسألة خاصة بالفرد دون غيره، وأن دور الدولة يجب أن يكون محددًا، أو قد يؤمن بأن الحرية هي شأن خاص بالدولة، وأن الدولة باستطاعتها أو يمكن استخدامها بمثابة أداة لتعزيز الحرية <sup>(٤)</sup> لذلك فقد حصل التنارع بين اتجاهات الليبرالية في تكييف " الحرية " والبرامج المحققة لها، ومن هذا المنطلق جاء المفهوم السلبي والمفهوم الإيجابي للحرية <sup>(٥)</sup>.

١ : مشكلات فلسفية - مشكلة الحرية - د زكريا إبراهيم : ٢٠

٢ : حقيقة الليبرالية وموقف الإسلام منها : ١٢٤

٣ : موسوعة لالا ند الفلسفية ٧٢٩/٢ ، ٧٩٨ . وانظر : حقيقة الليبرالية وموقف

الإسلام منها : ١٢٧

٤ : نقلا عن : حقيقة الليبرالية وموقف الإسلام منها : ١١٤

٥ : انظر : حقيقة الليبرالية وموقف الإسلام منها : ١١٥

لذلك فإن رموز الفكر الليبرالي يتفاوتون في فهمهم للحرية، فالفيلسوف " فولتير <sup>(١)</sup> " و " سبينوزا <sup>(٢)</sup> " جبريون في الحرية الإرادية، ودعاة للحرية المدينة، لذلك نجد أن الفيلسوف " جون ستيورات ميل <sup>(٣)</sup> " يقرر عدم الخوض في مسألة حرية الإرادة، ويتحدث فقط في مسألة الحرية المدينة <sup>(٤)</sup> وهذا ما يؤكد على غموض المفهوم، وتفاوت المفكرين الليبراليين، وأن الليبرالية نتاج واقع اجتماعي معين وليس نتيجة بحث عقلي فلسفي محدد <sup>(٥)</sup>.

وهذا الغموض في مفهوم الحرية، يجعلها كلمة فضفاضة لا يمكن ضبطها بحد معين، فهي تتبدل بتبدل المصالح والمنافع، فهي مفهوم مائع ومطاط يفسره الليبراليون حسب أمزجتهم ومصالحهم الشخصية أو الحزبية أو الطائفية، فالليبرالية في بداياتها أو يطلق عليها " الكلاسيكية " أكدت على مفهوم الحرية المطلق، وأنها الأساس في علاقة الأفراد بالدولة، بينما نجد أن الليبرالية المعاصرة، تجاوزت انعدام القيود والضغوط الخارجية، وقادت للصراع الإيجابي ضد التقاليد والأعراف والعادات الاجتماعية ليصبح الفرد سيد نفسه، فتهدف الكلاسيكية إلى تطويق السلطة وضبطها بينما تهدي المعاصرة إلى الاستيلاء على السلطة <sup>(٦)</sup>.

- ١ : كاتب وشاعر فرنسي ١٦٩٤ - ١٧٧٨ . اشتهر بمحاربته التعصب الديني للكنيسة ونقد المسيحية . انظر " موسوعة الفلسفة :- عبد الرحمن بدوي : ٢٠١/٢ .
- ٢ : باروخ سبينوزا ، فيلسوف هولندي من أصل يهودي ١٦٣٢ - ١٦٧٧ .
- ٣ : عالم اقتصاد وفيلسوف بريطاني ١٨٠٦ - ١٨٧٣ ، نادى بالحرية الفردية ودعا للأخذ بمذهب النفعية . انظر : معجم أعلام الموارد : ٤٣١
- ٤ : عن الحرية - جون ستيورات ميل - ترجمة هيثم كامل الزبيدي :- ١١٧ .
- ٥ : حقيقة الليبرالية وموقف الإسلام منها : ١٢٧
- ٦ : انظر : موقف الليبرالية في البلاد الإسلامية من محكمات الدين : ٦٧ - ٦٩ (باختصار)

### الأساس الثاني : الفردية.

يعتبر هذا الأساس من سمات عصر النهضة، الذي ظهر كردة فعل لفكر القرون الوسطى، وهو يعني تحرر الفرد من الانضباط الكاثوليكي الطويل (١) وارتبطت ل الفردية بالحرية ارتباطا وثيقا، فاصبحت تعني استقلال الفرد وحرية (٢).

بل إن النزعة الفردية شكلت مذهباً سياسياً ينطلق من اعتبار الفرد وأعماله وأماله أساساً في تفسير التاريخ والظواهر الاجتماعية، وأن الهدف الرئيس للمجتمع والدولة إنما هو الحفاظ على مصلحة الفرد وسعادته، وأن واجب الدولة هو مساعدته على تحقيق ذاته وأقصى طاقاته (٣).

وكانت فكرة الحرية مرتبطة في تقاليد الأحرار عند كل من الأمريكان والإنجليز بفكرة " الفردية " أي الفرد بنفسه من حيث هو فرد، وكان هذا الارتباط وثيقاً وكثير الوجود على الألسنة حتى خاله الناس أمراً ذاتياً أصيلاً (٤).

وقد جاءت الفردية بمفهومين مختلفين ؛

الأول منهما يأتي بمعنى الأنانية وحب الذات، وهو المعنى الذي غلب على الفكر الغربي منذ عصر النهضة وحتى يومنا هذا، بل هو الاتجاه التقليدي في الأدبيات الليبرالية (٥).

أما الآخر فيأتي بالمفهوم التقليدي، المرتبط بالطبيعة البشرية، وأن الطبيعة الإنسانية طبيعة شريرة أنانية، تؤكد على الذات وتسعى لتحقيقها

١ : تاريخ الفكر السياسي ٣٨٥/١

٢ : الحرية والثقافة : ٣٣ .

٣ : الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة : ١١١٦/٢

٤ : الحرية والثقافة - جون ديوي - : ٣٣

٥ : حقيقة الليبرالية وموقف الإسلام منها : ١٤٦

وحماتها وحتى المخالفين لفكرة أن الطبيعة البشرية شريرة (١) ، يوافقون على تأكيد الذات وأنها تسعى لتحقيق حماية نفسها (٢) .

### الأساس الثالث : العقلانية.

إن الدارس للتاريخ الأوربي يرى وبكل وضوح أن التسلط الكنسي سواء كان في الجانب الديني أو الجانب العلمي أو حتى الجانب السياسي، كان له دور كبير في تكريس مبدأ " التقليد الأعمى " والطاعة التامة وعدم المخالفة، والتسليم دون تفكير ، إما خوفا أو جهلا.

وقد مر معنا موقف العالم الفلكي " جاليليو " والذي شاهد إحراق سلفه " برونو " فاضطر للتراجع عن آرائه والاعتراف بأنه مخطيء، و قبول قول " بطليموس " في حركة الأفلاك، رغم أن النظريات العلمية أثبتت عدم صحة قوله (٣) .

وهذا الاستبداد من الكنيسة، و إدعاء رجالها أنهم هم الوحيدون الذين يملكون الحقيقة دون بقية البشر، يعتبر تعطيلًا صارخًا للعقل والتفكير، وهيمنة للعقيدة اللاهوتية المسيحية المحرفة على العقول (٤) الأمر الذي أوقد جذوة التفكير العقلاني، وأن " العقل قادر على الاستقلال بذاته ليدرك المصالح والمنافع دون الحاجة إلى قوى خارجية " (٥) متى ما استقل عن السلطة اللاهوتية ، وأن

١ : جون دويو يقول بأن الطبيعة البشرية ليست شريرة بذاتها .

٢ : في فلسفة السياسة - أميرة مطر - : ١٠٠

٣ : انظر مذاهب فكرية معاصرة - عرض ونقد - : ٥٤ - ٨٥ (باختصار) وانظر : تاريخ

اوربا في العصور الوسطى : ٢٠٠ وما بعدها

٤ : انظر " مدخل إلى التنوير الأوربي - هاشم صالح - ١٧٣ (بتصرف)

٥ : حقيقة الليبرالية وموقف الإسلام منها : ١٥٣

الحقيقة يمكن اكتشافها بشكل افضل باستخدام العقل والتحليل الواقعي وليس بالإيمان والتعاليم الدينية (١).

وقد استخدم لفظ " العقلانية " في القرنين السابع عشر والثامن عشر، للإشارة إلى المفكرين الأحرار من ذوي المقاومة للأكليروس والمقاومة للدين، وهو العقلانية بالمفهوم الفلسفي، وقد حلت محلها مصطلحات أخرى كالإنسانية والمادية، وهي تختلف عن التصور " العقلاني " العلماني (٢).

فالعقلانية العلمانية هي المقصودة هنا، وهي أس من أسس " الليبرالية"، تجعل العقل في مقابل الدين، " وكما أن الماء ينزل بعضه من السماء وينبع بعضه من الأرض، كذلك علم الإنسان، يستفاد بعضه بالعقل، والبعض الآخر بالوحي الإلهي كما قال " فرانسيس بيكون (٣) وأن مبدأ العلم الطبيعية، وموضوعه استغلال القوى الطبيعية، وأدواته الرياضة والتجربة، ويختص الدين بمصائر النفس في العالم الآخر، ويعتمد على الاعتقاد والتسليم فلا مضايقة بين العلم والدين، ولا سلطان لأحدهما على الآخر كما يقول " ديكرت " (٤).

وتعتبر العقلانية بالمفهوم العلماني، من مكونات " الليبرالية" بالمفهوم المتقدم، ويؤكد ذلك قول " جون لوك " : " من استبعد العقل ليفسح للوحي مجالاً فقد أطفأ نور كليهما، وكان مثله كمثل من يقتنع إنساناً بأن يفتأ عينيه و يتستعي عنهما بنور خافت، ويتلقاه بواسطة نجم سحيق (٥).

وبما أن المفهوم الليبرالي متغير ومتطور بحسب الأماكن والأزمان، فإن " الاعتماد على العقل وتحييد الدين أحد مفاهيم الليبرالية، فقد جاء بصورة متدرجة، ولكنه استحكم في عصر التنوير وزاد ترسيخه كمصدر وحيد للمعرفة في القرن التاسع عشر الميلادي، الذي يعتبر قمة الهرم الليبرالي، والذي فيه

١ : موقف الليبرالية في البلاد العربية من محجمات الدين : ٧٤

٢ : العقلانية - فلسفة متجددة - جون كوتنغهام - : ١٢

٣ : عن الفلسفة الحديثة : ٩٤

٤ : العلم والدين في الفلسفة المعاصرة : ١٩

٥ : النزاع بين العلم والدين : ٢٤١ . حقيقة الليبرالية وموقف الإسلام منها : ١٥٤ .



انتصرت العقلانية، وترسخت نهائياً، وأصبح العقل المصدر الوحيد للمعرفة" وهذا التصور المغالي لدور العقل جعله في مقابل الدين، بل منابذاً له (١).

### أبرز الشخصيات الليبرالية :

انطلقت النهضة، في أوروبا، وتحديدًا في إيطاليا في القرن الرابع عشر الميلادي وامتدت حتى القرن السابع عشر. أي مع انهيار النظام الإقطاعي بعدما كان يحكم أجزاء كبيرة من القارة العجوز. وبزوغ عصر الرأسمالية التجارية التي ستفضي إلى الثورة الصناعية، وتأسيس الدول القومية الحديثة.

وكانت (النهضة) حركة تقدم شملت مجالات الثقافة والفنون والآداب والعلوم والفكر السياسي على خلفية تطور الحياة الاقتصادية وازدهار التجارة وانطلاق الرحلات الاستكشافية فيما وراء البحار ، وتمثل جوهر فكر النهضة في إعطاء السلطة للعقل والتحرر من الجهل والخرافات وسيطرة الكنيسة.

و من هنا شكّل عصر النهضة، اتجاهاً جديداً في التفكير والنظرة إلى الأمور تختلف كلياً عما كان يسود (المجتمع الإقطاعي الأوروبي) من قيم نجمت عن طبيعة العلاقات الإقطاعية التي تحوّلت إلى عبء في غاية الثقل على كاهل الناس، وكذلك عن جمود ودكتاتورية الكنيسة الكاثوليكية التي كانت تقيّد الفكر وتحول دون الإبداع.

وخلال هذا العصر الثري بمعطياته وتحولاته برزت أسماء أعلام كبار ولامعين في عدة مجالات الآداب والفنون والفكر السياسي (٢) قد نجد أن بعضهم قد اشتهر بمذهب معين، إلا أن الفكر الليبرالي الذي يقوم على " الحرية والفردية والعقلانية، يكون حاضراً في مدرسته.

١ : موقف الليبرالية في البلاد العربية من محكمات الدين : ٧٢ ، ٧٤ (بتصرف)

٢ : انظر " مقال الكاتب العراقي " سعد محمد رحيم " : حول مفهومي النهضة وعصر التنوير .

٢٠١٥/١١/٢٣

وبما أن الأفكار تنشأ ببطء وعلى مر التاريخ من خلال عدد من المفكرين الذين يساهمون في صياغة الفكرة وإن لم يطلقوا عليها اللفظ، فإن الفكر الليبرالي لم يتبلور على يد مفكر واحد أو في زمن واحد، بل اشترك في وضع أصوله عدد من المفكرين في أزمنة وأمكنة مختلفة، فهو خلاصة تجربة إنسانية امتدت على مدار عدة قرون، شكلت نمطا فكريا عاما ومنظومة متشابكة من المعتقدات والقيم والمنطلقات، التي تتداخل فيما بينها لتعطي أفكارا متناقضة إلا إنها تنفق في أصول محددة تقوم على " الحرية، الفردية، العقلانية " التي تصب في مجملها على إقصاء الكنيسة و النظام الإقطاعي.

وسنذكر هنا عددا من أبرز الشخصيات التي ساهمت في صياغة الفكر الليبرالي في التاريخ الأوربي.

### • دانتي أليجيري ١٢٦٥ - ١٣٧٣

شاعر إيطالي، عاش في القرون الوسطى، ولكنه يعتبر مؤسس الأدب الإيطالي الحديث، ولد بتاريخ ١٢ مايو سنة ١٢٦٥ في عائلة لها باع طويل من الانخراط في المشهد السياسي المعقد لمدينة فلورنسا، وقد انعكس هذا الأمر في فصل "الجحيم" الذي ألفه دانتي لاحقا.

توفيت والدته بعد ولادته بسنوات قليلة، وعندما بلغ من العمر ١٣ عامًا، جرى ترتيب زواجه من "جيما دوناتي"، ابنة إحدى العائلات الصديقة. وهكذا تزوج الاثنان في سنة ١٢٨٥ تقريبًا، ولكن دانتي كان هائمًا في غرام امرأة أخرى اسمها "بياتريش بورتيناري" ، وتزوجها ولكن نشاء الأقدار أن تتوفى سنة ١٢٩٠، وحزن عليها حزنا كبيرا، وكان لها تأثير كبير عليه، وشكلت شخصيتها أساس ملحمة الكوميديا الإلهية التي ألفها .

وبعد وفاة "بياتريش" بفترة قصيرة، بدأ دانتي الانغماس في دراسة الفلسفة والمكائد التي كانت تُحاك في المشهد السياسي لمدينة فلورنسا. كانت الفوضى والاضطرابات تعم أرجاء هذه المدينة، وخاصة مع وجود جماعات متصارعة يمثل كل منها الإمبراطور أو البابا، و شغل عددًا من المناصب الهامة في فلورنسا، غير أنه فقد شعبيته في عام ١٣١٢، ونفي إلى خارج المدينة على يد قادة جناح "فرسان غويلف السود"، وهم فصيل سياسي كان مسيطرًا على الحكم،

ومتحالفًا مع البابا بونيفاس الثامن (وقد ذكر هذا البابا إضافة إلى شخصيات سياسية أخرى في فصل الجحيم ضمن كتاب الكوميديا الإلهية<sup>(١)</sup>).

توفي دانتي عام ١٣٢١، وكان عمره آنذاك ٥٦ عامًا. حظي دانتي بمكانة وتقدير كبيرين لقاء مجمل أعماله. وذاع صيت الكوميديا الإلهية واشتهرت طوال ٦٥٠ عامًا، واعتبرها الكثيرون من الأعمال الأدبية العظيمة، ولاسيما منذ أن كتب جيوفاني بوكاتشيو السيرة الذاتية لدانتي عام ١٣٧٣ (٢)

### • فرانيسكو بتراركا بترارك ١٣٠٤ - ١٣٧٤

عالم وشاعر إيطالي، اشتهر بقصائده الغزلية في مجموعته " لورا " كان لقصائده أبعاد الأثر في ازدهار الشعر الغنائي في إيطاليا وفرنسا وأسبانيا و أنجلترا (٣)

من أوائل الإنسانيين في عصر النهضة، يسمى "بترارك" أحياناً كثيرة "أب الإنسانية"، كان يكتب جميع كتبه النثرية باللغة اللاتينية بينما يكتب قصائده الشعرية بالعامية الإيطالية . توفيت والدته وهو في سن المراهقة، فأثرت عليه وفاتها فكتب عملاً أسماه (Epistole metriche) يبرز فيه قيم والدته المتوفاة. عرف بكونه من أوائل من استخدموا تسمية العصور المظلمة ، ورغم أنه جاء قبل الحركة الإنسية لكنه يتميز بالعديد من صفات الإنسانيين لذلك يلقب من البعض بأب الإنسانية، توفي بسكتة قلبية عشية عيد ميلاده السبعين (٤).

وهذا الفيلسوف وإن كان يعتبر " أب " الإنسانية " إلا أن الأفكار الإنسانية التي تقوم على " الحرية " و " الكرامة " تجعل من المذهب الإنساني ممهداً للأفكار الليبرالية التي ظهرت بعد ذلك (٥)

١ : انظر فصل الجحيم في الكوميديا الإلهية - ترجمة حسن عثمان : ٨١ - ٨٧ .

٢ : مجلة ARAGEEK . (https://www.arageek.com/bio/dante-alighieri)

٣ : معجم أعلام المورد : ٩٥

٤ : https://ar.wikipedia.org/wiki/فرانيسكو\_بتراركا

٥ : مجلة المعرفة - ٢٤-٠١-٢٠١٦ الفلسفة الإنسانية - حصة بنت نعيمش .

### • مارتن لوثر ١٤٨٢ - ١٥٤٦

راهب ألماني ن اختلف في سنة مولده، الا انه يقول إنه ولد في العاشر من نوفمبر ١٤٨٢<sup>(١)</sup> ، وعلى الرغم من كونه راهبا، إلا أنه لم يكن مؤمنا بالعقائد الخرافية التي كانت تصدر عن الكنيسة<sup>(٢)</sup> ، وهاجم وبشدة متاجرة الكنيسة " بصكوك الغفران " وانشق عن الكنيسة وعلق احتجاجه على باب كنيسة " فيتمبرج " فحرمه البابا " ليو العاشر " من شركة المؤمنين<sup>(٣)</sup> وفي العاشر من ديسمبر ١٥٢٠ دعت هيئة التدريس في " فيتمبرج " الأساتذة والأصدقاء وكل الذين يهتمهم الامر إلى حضور اجتماع هام عام، ثم كلف بعض الطلبة باعداد حجرة كبير من النار... فنقدم لوثر إلى النيران المشتعلة، وإلقى فيها كتاب القانون الكنسي ثم المنشور الذي كان يحوي تهديدات البابا له بالحرمان، وبهذا أعلن خروجه واستقلاله عن الكنيسة الكاثوليكية التي لم تقبل الإصلاح الداخلي الذي حال القيام به. فاعلن الكنيسة حرمانا ضد لوثر وأتباعه، وأن لوثر اعتبر هرطقيا ومرفوضا من الكنيسة<sup>(٤)</sup> فكان لا نشقاقه عن الكنيسة أثر بالغ في تطور الفكر الليبرالي<sup>(٥)</sup> .

### • جان فرانسوا للهفولتير ١٦٩٤ - ١٧٧٨

- ١ : المصلح مارتن لوثر، حياته وتعاليمه - بحث تاريخي عقائدي لاهوتي - الدكتور القس حنا جرجس الخضري : ١١
- ٢ : المصلح مارتن لوثر، حياته وتعاليمه - بحث تاريخي عقائدي لاهوتي - الدكتور القس حنا جرجس الخضري : انظر الفصل الثالث عشر " كتابات لوثر العظمى " ١٠١ - ١٠٦
- ٣ : معجم أعلام المورد : ٣٧٩
- ٤ : المصلح مارتن لوثر، حياته وتعاليمه - بحث تاريخي عقائدي لاهوتي - الدكتور القس حنا جرجس الخضري : ١٠٦
- ٥ : نشأة التحررية الاوربية " ١٨ - ٢٧ .

فيلسوف فرنسي اسمه الحقيقي " فرانسوا أريت " تبنى اسم " فولتير " عندما كان في سجن " الباستيل <sup>(١)</sup> كان يجمع بين المتناقضات، فقد كان قبيحا بشعا مختالا معجبا بنفسه، فصيحاً بذيئاً، مستهتراً، وأحياناً غادراً وفاسقاً ، وكان ينقلب أحياناً ويصبح لطيفاً رصيناً منصفاً سخياً، مسرفاً في تبديد أواله في مساعدة أصدقائه، إلا أن الشيء المثير فيه هو تألق عقله الذي لا ينضب <sup>(٢)</sup> هاجم الكنيسة بشدة وكان من أشد وأعنف الذين كتبوا ضدها، بل إنه هاجم الديانة النصرانية بقسوة وجرأة لدرجة أنه اسنحي من الحرب ضد الظلم والفساد السياسي <sup>(٣)</sup> ، وكان يطلق على الكنيسة ورجالها وصف " الكائنات الحقيرة "، ويقول : إن النصرانية ديانة متناقضة، تعيش على امتصاص دماء الأبرياء، ويقوم على شأنها عصابة من الأشرار الفاسدين (٤) .

وقد أيدت الطبقة البرجوازية أسلوبه العقلي الذي يدعو فيه إلى التخلص من الخرافات والتقاليد البالية (٥) ، وكان انتاجه الفكري من أعظم انتاج في عصره، وكانت كتاباته قاسية ضد النظام الملكي، حتى قال عنه " لويس السادس عشر " بعد أن رأى أعماله هو و " روسو " لقد دمر هذان الرجلان فرنسا – يقصد تدمير النظام الملكي في فرنسا – (٦) .

#### • جون لوك - ١٦٣٢ - ١٧٠٤

فيلسوف تجريبي و مفكر سياسي إنجليزي، انتخب طالبا مدى الحياة كلية كنيسة المسيح في جامعة أوكسفورد، لكن هذا اللقب سحب منه في عام ١٦٨٤ بأمر من الملك ، وبسبب كراهيته لعدم التسامح البيورتياني عند اللاهوتيين في

١ : سجن في باريس كان يسجن فيه المعارضين السياسيين ، ومن اندلعت الثورة الفرنسية  
١٧٨٩ م .

٢ : قصة الفلسفة - ول ديورانت : ٢٤٨ ، ٢٥١ ، ٢٥٢

٣ : قصة الفلسفة : ٣٠٣

٤ : مذاهب فكرية معاصرة : ٤٧٠ - ٤٧١

٥ : قصة الفلسفة - ول ديورانت : ٢٤٨ ، ٢٥١ ، ٢٥٢

٦ : قصة الفلسفة - ول ديورانت : ٢٥١

هذه الكلية، لم ينخرط في سلك رجال الدين. وبدلاً من ذلك أخذ في دراسة الطب وممارسة التجريب العلمي، حتى عرف باسم "دكتور لوك". لعب دوراً خطيراً في الأحداث السياسية العظيمة التي وقعت في إنجلترا ما بين سنة ١٦٦٠ وسنة ١٦٨٠. لعبت علاقة لوك باللورد أشلي دوراً كبيراً في نظرياته السياسية الليبرالية، وكتب أشهر مقالتيه سياسيتين نشرتا في عام ١٦٩٠ بعنوان "مقالتان عن الحكومة (Two Treatises on Government)" تأييداً لثورة ١٦٨٨ الكبرى.

هاجر إلى هولندا بسبب ملاحقة البوليس له، فكتب هناك عدة مقالات منها: مقال خاص بالفهم البشري (Essay Concerning Human Understanding) وبعض الأفكار عن التربية وأخرى عن التسامح. كان مباشراً وصريحاً في رفضه لمفاهيم المجتمع الإقطاعي، ولذلك فقد كانت رؤيته مغايرة لكل من سبقوه، حينما أعلن أن الحالة الطبيعية للبشر تتأكد عند سيطرة الحرية والمساواة كمفاهيم أساسية تحكم المجتمع. تميز جون لوك بوضوحه فيما انتهى إليه، فالتعاقد الاجتماعي عنده غاية معلومة، لا تكون مع العبودية والخضوع، فهما نفي لتلك الغاية وإقصاء لها، فالغرض الأساسي من التعاقد الاجتماعي هو المحافظة على الأرواح والملكية الخاصة وإلغاء النظام الملكي المطلق (أو الفردية الاتوقراطية) التي لا تتفق مع طبيعة المجتمع المدني الذي ينطلق في الأساس من مبدأ الإرادة الحرة. يرى أن وظيفة الحكومة والدولة هي أنها تحمي الثروة والحرية، التي تخص مواطنيها، يجب على الشعب أن يغير الحكومة إذا لم تحافظ على حقوق الشعب<sup>(١)</sup>.

#### • جان جاك روسو ١٧١٢ - ١٧٧٨.

كاتب وفيلسوف فرنسي، اعتبره بعض النقاد الوجه الأبعد نفوذاً في الأدب الفرنسي الحديث، والفلسفة الفرنسية. مهدت مقالاته ورواياته السبيل لاندلاع الثورة الفرنسية، وانبثاق الحركة "الرومانتيكية" في أن معاً.

١ : مجلة الهدف . ٢٠١٨/٧/٢ . مقال : غازي الصوارني : بعض فلاسفة ومفكري عصر النهضة والمجتمع المدني

عرف بتمجيده للطبيعة عامة وللنشرية خاصة. كان في طفولته وشبابه مثالا للنشاط والتوثب، ولم يكد يبلغ السابعة والثلاثين من عمره حتى نشر كتابه "خطب في العلوم والفنون". وأشهر مؤلفاته هي "رسالة في عدم المساواة"، و"العقد الاجتماعي"، و"هيلواز الجديدة"، و"الاعترافات". وفي تلك الأفكار الاجتماعية والسياسية والأخلاقية والتربوية التي طرحها، وكان أكثر وضوحاً من كل المنورين الفرنسيين في عهده، فقد وقف مع وجهة نظر البرجوازية الصغيرة الراديكالية والفلاحين والحرفيين، وهي وجهة نظر أكثر ديمقراطية من معاصريه. وكان في نقده شديد القسوة على معاصريه، وكان من رسل الطبيعة الداعين إلى البساطة لأنه يرى أن الناس جديرون أن يحبوا -إذا تركوا التصنع. وفي كتابه العقد الاجتماعي «يحاول» روسو «البرهنة على أن الوسيلة الوحيدة لتصحيح التفاوت الاجتماعي، هي في ضمان الحرية والمساواة المطلقة أمام القانون، وهذه الفكرة لقيت ترحيباً فيما بعد عند رجال الثورة الفرنسية. كما طرح في كتابه "العقد الاجتماعي - Social Contract" نظام الجمهورية البورجوازية الذي أكد فيه أن الحياة السياسية يجب أن تقوم على سيادة الشعب المطلقة، ورفض تقسيم السلطة إلى تشريعية وتنفيذية، واقترح بدلا منها الاستفتاء الشعبي العام في جميع الأمور السياسية الهامة. كما أكد على شرط التلازم بين النسبي وبين الحرية والمساواة، فلا مكان في عقده الاجتماعي لمواطن غني إلى درجة تمكنه أن يشتري الآخر، وفقير إلى درجة يضطر فيها إلى بيع نفسه، لقد أدخل روسو عنصر المساواة إلى المجتمع المدني، وبذلك جعل العدالة الاجتماعية شرط الحرية. ويؤكد بأن أصل التناقضات في الحضارة البشرية يكمن في التفاوت الاجتماعي الذي يرجع بدوره، إلى التفاوت في الملكية "ملكية الأرض" وأدوات العمل<sup>(1)</sup>.

#### • آدم سميث 1723 - 1790 .

١ : معجم أعلام الموارد : ٢١١ . وانظر : مجلة ARAGEEK

(<https://www.arageek.com/bio/dante-alighieri>) .

فيلسوف اجتماعي وعالم اقتصاد اسكتلندي ، يعتبر مؤسس علم الاقتصاد الكلاسيكي، دعا الى تعزيز المبادرة الفردية و حرية المنافسة وحرية التجارة بوصفها الوسيلة الفضلى لتحقيق أكبر قدر من الثروة والسعادة (١) ، مشهور بكتابه " بحث في طبيعة وأسباب ثروة الأمم " الذي عرف اختصارا باسم " ثروة الأمم "، وهو من أكثر الكتب تأثيرا في تاريخ الكتابة، حيث حول به اتجاه التفكير في مبادئ الحياة الاقتصادية من الشكل القديم إلى شكل حديث ومميز، وذلك استنادا إلى فهم جديد تماما للكيفية التي يعمل بها المجتمع البشري، حيث لم يكن الاقتصاد قد حظي في القرن الثامن عشر بمكانته كعلم منفصل، كما أصبح الحال عليه في القرن التاسع عشر. فقد كان الاقتصاد يركز على إثراء الملك والدولة بسبائك الذهب والفضة من أجل تميل الحروب الخارجية.

وعندما نشر " آدم سميث " كتابه " ثروة الأمم " أعاد توجيه أنظار الاقتصاد السياسي إلى إثراء المستهلك من " الناتج السنوي للأرض والعمل " وتحرير الأسواق من التدخلات التي غيرت آلية عملها الطبيعية (٢) فالثروة لا تتعلق بكمية الذهب والفضة في خزائن الأمة، فالمقياس الحقيقي لثروة الأمة هو ما تخلقه من تيار السلع والخدمات، وهو ما يطلق عليه " إجمالي الناتج المحلي "، و أن الحكومة المدنية، مادمت قد أقيمت لضمان الملكية، فقد أقيمت في الواقع للدفاع عن الغني ضد الفقير، أو عن هؤلاء الذين لديهم بعض الملكية ضد من ليست لديهم أي ملكية على الإطلاق. (٣) .

#### • جون ستيورات ميل ١٨٠٦ - ١٨٧٣ .

عالم اقتصاد وفيلسوف بريطاني و مفكر وسياسي ليبرالي، نادى بالحرية الفردية، ودعى إلى الأخذ بمذهب النفعية، وهو أحد أهم العقول في عصره، من أهم أعماله " في الحرية " " On Liberty "، و " مبادئ الاقتصاد السياسي " Principles of Political Economy ، من أوائل المشتغلين على القضايا الإنسانية، هو، وفيلسوف وكاتب، تطوّر تفكيره من مذهب المنفعة

١ : معجم أعلام الموارد : ٢٤٣

٢ : آدم سميث - مقدمة موجزة - تأليف " إيمون باتلر . ترجمة : علي الحارس : ١٦ ،

٢١ . معجم أعلام الموارد : ٢٤٣

٣ : آدم سميث - مقدمة موجزة - تأليف " إيمون باتلر . ترجمة : علي الحارس : ٣٤



الكلاسيكي إلى مراجعات أكثر اكتمالاً للنفعيّة، وقدم أطروحات تجيب على الأسئلة الكبرى الكلاسيكية حول الحكم الصالح والتمثيل السياسي؛ وهي إجابات ذات تأثير كبير على النظريات السياسية اللاحقة، وتساهم في بناء مفهوم عن الإنسان يكونه قادراً على إنجاز تنمية متناسقة، متأسّسة على مجتمع حرّ و متعلم. درس اليونانية في الثالثة من عمره، وتلقى الرياضيات والتاريخ إلى حد السنة السابعة، وفي الثامنة درس اللاتينية والهندسة والجبر، وكان إلى جانب ذلك يقوم بدور المعلم لإخوته الأصغر منه، من الثامنة إلى الثانية عشرة، إهتم بالعلوم التجريبية واللغات القديمة، أي اليونانية واللاتينية والرياضيات والتاريخ، كما أنه اطلع على أرغانون أرسطو (Organon d' Aristote) والمتون المنطقية القروسطية.

أما في الثالثة عشر من عمره فقد اطلع على الاقتصاد السياسي من خلال مؤلفات آدم سميث (Adam Smith) وريكاردو (Ricardo) بعد حصوله على هذا التكوين الكثيف والعميق، سافر جون ستيوارت ميل إلى فرنسا حيث بقي بضعة أشهر في ضيافة أحد أصدقاء أبيه.

سافر إلى فرنسا وبعد عودته سلمه أبوه كتاب صديقه جيريمي بنتام (Jeremy Bentham) بعنوان: مقال في التشريع؛ وكانت غايته أن يجعل ابنه حاملاً لرؤية النفعية البنثامية؛ وعليه فإن مطالعة جون ستيوارت ميل لكتاب بنتام كان لها وقع شديد في نفسه إلى درجة أنه أصبح يعتقد أن مبدأ النفعية ألف بين مختلف معارفه واعتقاداته، في سنة (١٨٢٢ م) جمع ميل أصدقاءه الذين لهم النزعة النفعية نفسها وأسس «المجمع النفعي» (Utilitarian Society).

وفي سنة (١٨٢٣ م) تمكن من نشر بعض المقالات في مجلة وستمنستر (Westminster Review)، التي أسسها "بنتام" والتي تولى إدارتها فيما بعد، وقد قام بنشر كتاب بنتام في خمسة أجزاء بعنوان Rational of Judicial Evidence.

وفي سنة ١٨٤٣ نشر كتاب نسق المنطق " System of Logic " الذي عبر فيه عن المبادئ التي أقيمت عليها فلسفته التي سماها فلسفة التجربة وقابلها بالفلسفة الحدسية.

وفي سنة (١٨٦٥ م) نشر كتابه حول فحص فلسفة السيد هاملتون (Examination of Sir Hamilton Philosophy)، وهو كتاب تعهد فيه

ميل بنقد فلسفة هاملتون الذي هو أحد الكنتيين الإنجليزيين، لما في ادعاءاته من خطر على فلسفة التجربة التي أسسها ودافع عنها ميل<sup>(١)</sup>.

### • جيرمي بنتام ١٧٤٨ - ١٨٣٢.

رجل قانون ومصالح اجتماعي ومفكر ليبرالي وفيلسوف انجليزي، والمُنظّر الرئيس في الفلسفة "الانجلوأمريكية" للقانون. وهو متطرف سياسي، أثرت أفكاره على تطوير الضمان الاجتماعي، كما شملت مواقفه الحجج المؤيدة للفرد، والحرية الاقتصادية، الفائدة، الفصل بين الكنيسة والدولة، حرية التعبير، والمساواة في الحقوق للمرأة، الحق في الطلاق، وعدم تجريم أفعال المثلية الجنسية. كما طالب بإلغاء الرق وعقوبة الإعدام وإلغاء العقوبات البدنية بما في ذلك للأطفال.

اشتهر بثلاثة أمور؛ مبدأ النفعية<sup>(٢)</sup> حقوق الحيوان، فكرة بانوبتيكون<sup>(٣)</sup>.

١ : النفعية - جون ستيوارت ميل - ترجمة: سعاد شاهري حرار: ١٥ - ٢١ (سيرة المؤلف) بتصرف. وانظر "أسس الليبرالية السياسية - جون ستيوارت مل - ترجمة" أ.د. إمام عبد الفتاح إمام وآخر "٩. والمدخل للكاتب بقلم" أ.د. ليندسي "١٣ - ٣٤.

٢ : مبدأ المنفعة Principle Of Utility يعني عند Bentham أكبر قدر من السعادة لأكبر عدد من الناس والدوافع النفسية لهذا المبدأ هي تحصيل اللذة واجتناب الألم، لأن اللذة والألم هما اللذان يضبطان ويوجهان السلوك، ويحكان كل ما نفعل ونقول ونفكر فيه. ومعيار السلوك الجيد هو أن نحصل بواسطته على السعادة، والسعادة هي تحصيل أكبر قدر ممكن من اللذة وتجنب أكبر قدر من الألم. انظر: النفعية - جون ستيوارت ميل "٣٥ (الفصل الثاني - ماهي النفعية)

٣ : بانوبتيكون (بالإنجليزية Panopticon): وتعني "مراقبة (opticon) الكل" (Pan) هو نوع من السجون قام بتصميمه الفيلسوف الإنكليزي والمنظر الاجتماعي جيرمي بنتام في عام 1785. مفهوم التصميم هو السماح بمراقب واحد مراقبة جميع السجناء دون أن يكون المسجونين قادرين على معرفة ما إذا كانوا مراقبين أم لا.

يعتبر من أبرز من كتب في علم نفس المنفعة، ومؤلفاته أساسها نفسي، سواء في الأخلاق أو التشريع أو التعليم أو العمل. انتهى المطاف به إلى انكار الدين ومعاداته بشده، وجعل التعليم محل اهتمامه، لأنه من وجهة نظره الكفيل وحده بمداواة عيوب المجتمع<sup>(١)</sup>

### موقف الإسلام من الليبرالية :

عندما نتحدث عن المذاهب الفكرية المعاصرة، فنحن نتحدث عن فكر نشأ في بلاد غير إسلامية، كانت له أسبابه ومبرراته، التي تختلف عن طبيعة الديار الإسلامية سواء في السياسة أم في الحكم والإدارة. لذلك ليس في الإسلام موقف محدد من كل فكرة أو مذهب معين، لكون تلك الأفكار لا يكون الإسلام وأصوله من ضمن معطياتها، بل تقصد الكنيسة الكاثوليكية والاقطاعين والنظام الاقتصادي القائم لديهم. وحيث إن الليبرالية قامت كردة فعل للأوضاع الدينية والاجتماعية في أوروبا، بشكل غير واع لذاته، متجه للتحرر من قيود الدين والنظم الاقتصادية والسياسية السائدة في ذلك الوقت، فقد بلورت نفسها لتقوم على ثلاثة أسس فكرية عامة وهي ؛ " الفردية، الحرية، العقلانية"<sup>(٢)</sup> ، وهي أسس مترابطة ومتداخلة مع بعضها البعض، وهي من حيث المعنى العام، لا يخالف فيها عقل أو دين<sup>(٣)</sup>.

و حيث إن تلك الأفكار قد انتقلت للعالم الإسلامي نتيجة جهل بعض المسلمين بدينهم واعجابهم بالحضارة الغربية وأفكارها، ونقلهم تلك الأفكار -

١ : فلسفة بنشام النفعية - دراسة نقدية في ضوء الإسلام - د محمد مصطفى أحمد بيومي :

٠٣٢٦

٢ : حقيقة الليبرالية وموقف الإسلام منها . أ.د. سليمان الخراشي : ١٩

٣ : انظر في تفصيل هذه الشبهة : حقيقة الليبرالية وموقف الإسلام منها - السليبي : ٦١٢ ،

وكذلك . أ.د. سليمان الخراشي : ١٦٩ .

على علاقتها - للبلاد الإسلامية دون تمحيص أو نقد، الأمر الذي سبب لوثات فكرية لدى بعض المفكرين المسلمين جعل بعضهم يتبنى الوصف " الليبرالي " لنفسه، وقد يتبنى بعض النظريات الخاصة، رغم اختلاف الدواعي والمبررات ومخالفاتها في مفهوم نشأتها لأبسط قواعد الدين.

لذلك فمن الواجب بيان موقف الإسلام من تلك اللوثات الفكرية، التي يدندن بها بعض المسلمين دون وعي بمضامينها ومقاصدها.

وهنا في هذه العجالة سأبين موقف الإسلام بالجملة من أسس الليبرالية، ومن أراد الاستزادة فهناك مؤلفات ضخمة تزخر بها المكتبات، ناقشت تفاصيل الأسس، وموافق الليبرالية والليبراليين "المسلمين" (1) من أصول الدين (2). فباديء ذي بدء نؤكد على أن لدين الإسلامي قد أكد أيما تأكيد على مراعاة حقوق الناس وخصوصياتهم، وحريتهم في تصرفاتهم واعتقاداتهم من خلال قوله تعالى " ((وهديناه النجدين))

قال تعالى : ((وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا (3))، وقال تعالى : ((إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (4))

فقد كرم الله الإنسان وفطره على الحرية في التصرف و الاختيار ، ونزع هذه الصفة عنه نزع لإنسانيته وتكليفه.

ولكن ما قامت به الكنيسة من طغيان وتسلط على الأفكار والمعتقدات، هو سلب لحرية الناس وتفكيرهم، وزده الفساد الإقطاعي الذي قسم المجتمع إلى طبقة الحكام وحاشيتهم، وطبقة العامة المضطهدين.

١ : لا أرى تسمية المسلم بالليبرالي ، حيث إن الليبرالية تختلف كلية عن الإسلام ، وإذا كان من يصف نفسه بأنه " ليبرالي " يجهل مضامين الليبرالية أو " مفاهيم الإسلام ، فهو معذور في جهله ولا يعذر الي يعلم بعلمه .

٢ : بحث بسيط في محركات البحث يجد القاريء من خلاله العديد من المؤلفات والمقالات حول ذلك .

٣ : الإسراء : ٧٠

٤ : الإنسان : ٢

وحيث إن المصدر الذي يصدر عن حكم السماء وتعاليمها هو " الكنيسة " ولكن طبيعة تصرفاتها وتصرفات رجالها لا تنم عن أخلاقيات سماوية، بل تنم عن فساد وطغيان، فظهرت الدعوات التي تطلب الحد من سلطة الكنيسة، ثم تطورت للمطالبة بالقضاء على الكنيسة، وأصبحت المفاهيم التي يدعون إليها تشطح في معانيها المقصودة. إذ أصبحت الحرية تعني الانفلات وعدم الانضباط، والفردية تعني الاستقلال التحرر من الانضباط الكاثوليكي، والعقلانية تعني عدم الإيمان بالمغيبات، وجعل العقل هو المصدر الوحيد في معرفة الحق.

وهذه المعاني المقصودة من أسس الليبرالية، تخالف الإسلام في مفهوم تطبيقها وليس في أصل لفظها، إذ أنها تهدم كيان كل دين، فلا تؤمن بغيب، ولا وحي ولا تستجيب لضوابط أخلاقية تحددها الشرائع السماوية، وتجعل العقل هو الأساس في بيان الحق من الصواب، و هو الفرد هو الذي يحدد له سلوكه وطريقة معاشه.

وقد سئل فضيلة الشيخ صالح الفوزان (١) عن الفكر الليبرالي " الذي يدعو إلى الحرية التي لا ضابط لها إلا القانون الوضعي، فيساوي بين المسلم والكافر بدعوى التعددية، ويجعل لكل فرد حريته الشخصية التي لا تخضع لقيود الشريعة كما زعموا، ويحاد بعض الأحكام الشرعية التي تناقضه؛ كالأحكام المتعلقة بالمرأة، أو بالعلاقة مع الكفار، أو بإنكار المنكر، أو أحكام الجهاد " (٢) ، فقال : " إن المسلم هو المسلم الله بالتوحيد المنقاد له بالطاعة المبرئ من الشرك وأهله. فالذي يريد الحرية التي لا ضابط لها إلا القانون الوضعي هذا متمرّد على شرع الله يريد حكم الجاهلية وحكم الطاغوت فلا يكون مسلماً والذي ينكر ما علم من

١ : عضو اللجنة الدائمة للإفتاء وعضو هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية .

٢ : حقيقة الليبرالية وموقف الإسلام منها . أ.د. سليمان الخراشي : ١٨٥

الدين بالضرورة من الفرق بين المسلم والكافر ويريد الحرية التي لا تخضع لقيود الشريعة وينكر الأحكام الشرعية من الأحكام الشرعية الخاصة بالمرأه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومشروعية الجهاد في سبيل الله. هذا قد ارتكب عدة نواقض من نواقض الإسلام، نسال الله العافية.

والذي يقول: (انه مسلم ليبرالي) متناقض إذا أريد بالليبرالية ما ذكر فعليه أن يتوب إلى الله من هذه الأفكار ليكون مسلماً حقاً " (1) .

فالليبرالية وفق مفاهيمها عن " الحرية، والفردية، والعقلانية " فهي تتناقض أصل الدين وتتضمن أنواعا من الكفر الأكبر الناقل عن الملة، ككفر الاستحلال، و كفر الشك و كفر الإباء، وكل واحد منها يكفي في الخروج عن الإسلام (٢) .

---

١ : انظر " حقيقة الليبرالية وموقف الإسلام منها . أ.د. سليمان الخراشي " ١٨٦-١٨٧ .  
وانظر: موقع فضيلة الشيخ صالح الفوزان على شبكة العنكبوتية  
(<https://www.alfawzan.af.org.sa/ar/node/2350>)

٢ : حقيقة الليبرالية وموقف الإسلام منها : ٦١٩

## خاتمة :

الحمد لله أولاً و آخر على أن سهل لي كتابة هذا البحث في موضوع " الليبرالية " وبيان مفهومها على حقيقته التي أراده واضعوها.

وقد اشتمل هذا البحث على مقدمة و تمهيد ، ثم خمسة موضوعات تشمل ؛ تعريف الليبرالية ، ونشأتها، ثم أطوارها والأسس التي قامت عليها، ثم أبرز الشخصيات التي ساهمت في صياغة مفهوم " الليبرالية " .

وقد ذكرت في المقدمة توطئة لليبرالية، وكيف انتشرت ووصلت للعام الإسلامي بشكل مختصر وموجز، ثم مهدت للحديث عن مفهوم الليبرالية ببيان أن الأفكار بشكل عام، ضاربة في أعماق الزمن، حتى تجد حدثاً يوقظها ويقدها زنادها.

ثم كان الحديث عن تعريف الليبرالية، عند مفكريها وأهلها، وأطوارها، وبيان غموض معناها، وانها تختلف من مفكر لآخر، إلا أن الجميع يتفقون على أسس معينة، التي كانت محور الحديث في النقطة الرابعة.

ثم ختم البحث بتعريف لأبرز الشخصيات التي كان لها أثر في صياغة مفهوم الليبرالية كأفكار متناثرة، جمعتها ظروف أوربا التي كانت تترشح تحت ضغط الكنيسة وتسلطها، والنظام الإقطاعي المستبد، مع النظام الاقتصادي السائد الذي يزيد الغنى غنا والفقير فقراً.

وأني لأدعو الله أن يكتب القبول لها البحث، وأن يكون لنا الخير، وأن يقبل منا جهد المقل نصره لدينه ودفاعاً عن ثوابته.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

## قائمة بالمراجع :

### أولا : القرآن الكريم.

### ثانيا المراجع.

آدام سميث - مقدمة موجزة - تأليف " إيمون باتلر. ترجمة : علي الحارس  
أسس الليبرالية السياسية - جون ستيوارت مل - ترجمة " أ.د إمام عبد  
الفتاح إمام و آخر " ٩  
انظر فصل الجحيم في الكوميديا الإلهية - ترجمة حسن عثمان : ٨١ -  
٨٧.

انظر مذاهب فكرية معاصرة - عرض ونقد -

تاريخ الفكر الأوربي الحديث - سترو مبرج

تاريخ الفكر الأوربي الحديث - سترو مبرج ٣٣٧ (بتصرف)

تاريخ الفكر السياسي

تاريخ أوروبا السياسي والثقافي بخطوطه العرية - ولي شيرين

تاريخ اوربا في العصور الوسطى

تاريخ عصر النهضة الأوربية - دنور الدين حاطوم

تكوين العقل الحديث - جون رانال.

جاهلية القرن العشرين - محمد قطب -

الحرية والثقافة - جون ديوي -

حقيقة الليبرالية وموقف الإسلام منها. أ.د. سليمان الخراشي

حقيقة الليبرالية وموقف الإسلام منها :

حكمة الغرب

الصراع بين البرجوازية والإقطاع



العقد الاجتماعي :

العقلانية - فلسفة متجددة - جون كوتنغهام -

العلم والدين في الفلسفة المعاصرة

العلمانية - نشأتها و تطورها وآثارها في الحياة الإسلامية والمعاصرة.

عن الحرية - جون ستورانت ميل - ترجمة هيثم كامل الذبيدي

عن الفلسفة الحديثة

الف شخصية عظيمة :

فلسفة بنثام النفعية - دراسة نقدية في ضوء الإسلام - د محمد مصطفى

أحمد بيومي

في فلسفة السياسة - أميرة مطر - :

قصة الحضارة ٢٣

قصة الفلسفة - ول ديورانت

قصة النزاع بين الدين والفلسفة. توفيق الطويل

كواشف وزیوف - الميداني

الليبرالية إشكالية مفهوم زد ياسر قنصوه

الليبرالية القديمة والليبرالية الجديدة - المعاني والمبادئ والمفاهيم - مقال -

في مجلة الحوار المتمدن العدد ١١١٩ - ٢٤ / ٢ / ٢٠٠٥

مجلة المعرفة - ٢٤ - ٠١ - ٢٠١٦ الفلسفة الإنسانية - حصة بنت نعيمش.

مجلة الهدف. ٢ / ٧ / ٢٠١٨. مقال : غازي الصوارني : بعض فلاسفة

ومفكري عصر النهضة والمجتمع المدني

مجلة حكمة : ٢٠١٧. موسوعة ستانفورد للفلسفة - ترجمة محمد صديق

أمون. جاليلو جاليلي

مجلة قضايا معاصرة - العدد الأول - ربيع ٢٠١٦. تصدر عن المركز

العلمي للأبحاث والدراسات الإنسانية - الرباط - المغرب - مقال "

- رالف رايكو " ترجمة " رشيد اوراز  
مدخل إلى التنوير الأوربي - هاشم صالح -  
مدخل إلى علم السياسة  
مشكلات فلسفية - مشكلة الحرية - . د زكريا إبراهيم  
المصطلحات السياسية :  
المصلح مارتن لوثر، حياته وتعاليمه - بحث تاريخي عقائدي لاهوتي -  
الدكتور القس حنا جرجس الخضري  
معالم تاريخ الإنسانية  
معجم أعلام الموارد :  
معجم الفلاسفة " جورج طرابيشي  
المعجم الفلسفي - جميل صليبا  
المعجم الفلسفي - مراد وهبة  
معركة الثوابت بين الإسلام الليبرالية - عبد العزيز كامل  
مقال الكاتب العراقي " سعد محمد رحيم " : حول مفهومي النهضة وعصر-  
التنوير . ٢٣ / ١١ / ٢٠١٥  
الموسوعة العربية العالمية ٢١ / ٢٤٧ .  
موسوعة الفلسفة :- عبد الرحمن بدوي : ٢ / ٢٠١ .  
الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة - الندوة العالمية  
للشباب الإسلامي  
موسوعة لالاند الفلسفية  
موقف الليبرالية في البلاد الإسلامية من محكمات الدين  
النزاع بين العلم والدين  
نشأة التحررية الاوربية  
النفعية - جون ستيوارت ميل - ترجمة : سعاد شاهرلي حرار.

نقد الليبرالية. د الطيب بو عزة

### ثالثا : موقع الشبكة العنكبوتية.

موقع فضيلة الشيخ صالح الفوزان على الشبكة العنكبوتية  
(<https://www.alfawzan.af.org.sa/ar/node/2350>)

مجلة ARAGEEK.

(<https://www.arageek.com/bio/dante-alighieri>)

مجلة ARAGEEK.

(<https://www.arageek.com/bio/dante-alighieri>)

[https://ar.wikipedia.org/wiki/فرانثيسكو\\_بتراركا](https://ar.wikipedia.org/wiki/فرانثيسكو_بتراركا)